

## رواية تنكرد

لنوزير الشهير اللورد بيكسبلد

القسم الثالث . الفصل الاول

تقلص نور القمر عن بستان الجثمانية وقبر اشالوم ومياه قدرون ووادي ابن هنوم ولكنه بقي مشرقاً بجباله وجلاله على اسوار اورشليم وابراجها واتاجها . هناك جبل صهيون وعلى قمته برج داود وامامة برج المورياً وعليه هيكل اله ابرهيم الذي بناه له اولاد اسمعيل اورشليم في نور القمر . ياله من منظر بهيج عدا ما فيه مما بهيج ذكرى العصور الغابرة . مدينة حصينة قامت حولها الاودية مقام الخنادق

وغاب القمر وراء جبل الزيتون فزاد اشراق الكواكب فوق اورشليم ومرّ النسيم على سهل شارون فسمع السرور زفراته وارتعدت منها فرائض الفخيل . اهو صوت النسيم او الذين الانبياء ينوحون على مدينة عزّ عليهم اتقاذاها . ارض اختارها الله لسكنائه لا تغارها ارواح انبيائه . من هذا الجبل ومن طور التجلي اطل رجال اسرائيل على مدينة العجائب . رجال كفاة وحكام يفاضر بهم في كل العصور . المشترع الذي قام في عهد القراعنة ولا تزال شريعته ثابتة الارقان . والمملك الذي اشتهرت حكته في الخلفقين ودان له الانس والجان . والمعلم الذي جاء بالعدل والرحمة وبُنيت على تعاليمه دعائم العمران . اعظم مشرع واعظم ملك واعظم مصلح . اي امة من الامم الحاضرة والغابرة تباهي بثلاثة مثل هؤلاء

أطفي المصباح الاخير في بيت عنيا وانقلب النسيم ريحاً عاصفة وسُدل الضباب على وجنة السماء فاحتميت به الكواكب وناب برج داود عن الابهام وحييت الظلة الحرم الشريف اما كنيسة القيامة فلم يرل النور فيها . على م بنيت مستتيرة وقد مرت بهرة الليل ونام القانتون والزهاد المحرس التركي في دار الكنيسة وفي داخلها راهبان من دير الافرنج قائمان على حراستها وبجانب القبر شاب ثجا على ركبته لما غابت الشمس وبات الليل كله جاثياً وهو ليس من الملاتين ولا من الارثوذكس ولا من الارمن ولا من الموارنة ولا من التبط ولا من الاحباش . آتي من جزيرة بعيدة في اقصى الشمال ليجد عند قبر المخلص الذي جاء من نسل ملوك اسرائيل . ولكن لماذا جاء هذا الشاب وحده وعلى م كان اسلانه باثون زرافات الى الارض المقدسة قبل عصر العلم والاختراع . فان الارض المقدسة لم تزال مقدسة وهي ارض النبوة ومهبط الرحي ارض الانبياء والرسل الارض التي من جبالها كلم الله بني الانسان

يدعي جمهور من الاوربيين ان بلاد الشام مثل غيرها من البلدان . وقد غار بعضهم من الاسرائيليين وقالوا كيف يكون اهل الهدى والمرشاد منهم . وقام ابنا اعظم ملكة من ممالكهم واقفلوا الكنائس وقتلوا القسوس وزعموا ان الدين حديث خرافة لكن ساء فآلمهم وحبطت اعمالهم وعادت البلاد الى عبادة اعظم من قام من الاسرائيليين وخصت اعظم معبد من معابدها بامرأة من العبرانيات

والبلاد التي جاء منها هذا الشاب الجاني امام القبر المقدس لم تجاهر بعداوة التوراة والانجيل ولكن اهاليها الذين ازلوا ملكهم ونخبة امراءهم لاتقاذ الارض المقدسة منذ ستمئة سنة عدلوا عن هذه الخطة الآن ولم يعد لهم عم إلا توسيع التاجر وانشاء سكك الحديد ولقد حبطت مساعي الصليبيين لانهم جاؤا الارض المقدسة وهم يتهمون العرب بالاحقاد والعرب اقرب منهم الى من جاؤا لاتقاذ قبري كلهم ابنا ابراهيم وهم مأمورون باقامة التوراة والانجيل . وستبقى اورشليم ابد الدهر تابعة لابناء عيسو او لابناء اسمعيل . واذا حاولت الممالك الاوربية ان تقيم عليها اميراً من ابناها حل بيو ما حل بملوك القدس الاوربيين

### الفصل الثاني

قرب باب صهيون شارع متقدّر البيوت قائمة على جانبيه لا كوة فيها ولا شرفة لها . في كل بيت منها دار قد تكون فسحة لا يدل ظاهراً على ما فيها من دلائل الرفاه والرفاهة دخل رجل لابس اللباس السوري باباً من ابواب تلك البيوت ومرّ في الرواق الذي يحيط بداره ومنه في سرداب يندّ الى دار اخرى في وسطها حديقة غناء فيها اشجار الليمون على اختلاف انواعه ويحيط بها غرف كثيرة وفي آخرها سرداب آخر ودرج يصعد منه الى غرفة رحبة معقودة السقف منقوشة الخشب على جانبيه من جوانبها الاربعة ارائك من الدمقس وارضها مرصوفة بالرخام وعليها كثير من البسط الفارسية . وعلى الاراتك رجال بالحلل الشرقية يدخنون التبغ اللاذقي او التباك الجمعي وكلما كاد التبغ يفرغ من حجير واحد منهم صفق يديه تجاهه غلام زنجي ملاً بالحجر بالتبغ ووضع عليه جذوة نار وصاحب المنزل متكئ في صدر الغرفة وهو طويل القامة طلق الحياً ناهض اللحمين ولكن لم يخلق الدهر ديباجته ولا ابن شيئاً من الاساريير في جهته كبير العينين واسع الجبين اتنى الانف صغير النم اسيل الخلد مثل كثيرين من الذين تراهم في سواحل الشام وبلاد اليونان رغمًا عما انتاب البلادين من نوابب الدهر . هناك الجمال النائق . هناك على مقربة من البلاد

التي كان فيها الفردوس نجد اناساً مثل هؤلاء تشرق عليهم شمس الارض المقدسة ويشربون ماءها ويستشقون عواذها . وكان عن يمين صاحب المنزل تاجر مصري اسمه شريف افندي يدخل الخبث بقصبة من الياسمين وهو عربي الاصل اسم الوجه معتم بهامة بيضاء وكان جالساً منتصباً كأنه قائم للقضاء وعن يساره رجل متكى وقد تدثر حتى لم يبق منه شيء وبجانبه رجل نحيف الجسم براق العينين شائب اللحية معتم بهامة سوداء دليلاً على انه اسراييلي واسمه باريزي ويلقب بباريزي البرج لانه ساكن قرب برج داود تميزاً له عن ابن عمه الملقب بباريزي الباب لانه ساكن قرب باب صهيون . وهناك رجل ارمني من الاستانة يدخل الخبث بقصبة من الكرز ورجل فرنسي من البارجة الراسية في بيروت

لما وصل الرجل الى هذه الغرفة خلع حذاءه عند الباب ودخل وسلم فردوا له السلام ودعوه الى الجلوس بجلس وصفق صاحب البيت فدخل غلام يدون قصبة وخبث اسم هذا الرجل بسكواليجو وهو من البنادقة الذين يرددون على المشرق وقد اقام فيه فصلاً مدة طويلة وابداه فصل في يافا وهو مقيم في القدس . لما استقر يوم المجلس قال اتانا سائح كبير نور كنيسة القيامة من الممارة الى الصباح واقام الحرم في الدار ولم يسمح بدخولها الا للرئيس الاسياني واثنين من الرهبان . ولعله دفع للديرة عشرة آلاف غرش . مضى زمن طويل من حين اتانا سائح لاتيني مثل هذا

فقال الباريزي بلغني انه ليس من اللاتين . وقال الارمني انه ليس من قومي لانه لو كان منهم ما دخل الكنيسة مع رئيس اسباني . فقال بسكواليجو لو كان ارمنياً من قومك ما دفع عشرة آلاف غرش وقال الباريزي ولا هو يوناني ولكنني اعلم عن ثقة انه انكليزي من اخوة الملكة . فقال بسكواليجو لقد ظننت انا ذلك ايضاً حالما بلغني انه انكليزي . فقال له صاحب البيت من الملك انك انكليزي . قال خذمة اخبروني . وقال الباريزي ان معه جنرالاً انكليزياً لرئاسة رجاله وهو رجل ظريف بقضي نهاره في دار القنصلات . وقد استأجروا بيت حسن نجد بمخمة آلاف غرش في الشهر

فقال شريف افندي اذا هو انكليزي بلا شك . وقال الباريزي وهو قتي صغير السن اصغر من الملكة ولذلك آل الملك اليها لان ولاية العهد الاكبر حسب شريعة الانكليز ولو كان امرأة

ولم يستطع احد ان يعارض الباريزي لانه كان ثقة في هذه الامور . ثم قال الارمني اذا بقي هذا الشاب يتفق امواله على هذه الصورة اقلس سريعاً لان القدس اغلى من استانبول .

فقال له صاحب البيت لا خوف من ذلك لانه جاءني بمكتوب توصية بأمرني ان ادفع اليو  
-ههما طلب من المال

فرفع الرجل المتدثر الفطاء عنه وقال من هو هذا الرجل يا بشر ( وكان هذا المتدثر شاباً  
جميل المنظر ازرق العينين )

فقال بسو هو لورد انكليزي ومن اعظم امراء الانكليز

فقال الشاب وعلى م جاء الى هنا ولم نعهد الانكليز يأتون سياحاً

فقال بسو ولكنه اتى للسياحة كما ترى

فقال الشاب ومن ادراكنا ان هذه السياحة ليست سياحة فان اقم الشمال لا ترى لها شأنًا  
الاً في المشاكل السياسية ولكنك لست من رجال السياسة لتعلم ذلك

فقال بسو قد يكون الامر كما قلت ايها الامير لكني لست من رجال السياسة كما شهدت لي

فقال الشاب يا حبذا ذلك فانه خير لك ولنا ولكن انظر هذا الرجل شريف اندي فهو

فهرمان كبير وقد وعد بان يهرب لي عشرة آلاف بنديفة يستلمها منه البدو ويوصلونها الى الجبل  
فما قولك في ذلك أخبر به ابنتك واسألها عن رأيها فيه

فقال بسو اذاً قد تم كل شيء على حسب مرامك

فقال الشاب كلاً لاني شريف اندي لا يلجئ الينادق ما لم ادفع له ثمنها والبدو لا

بنقلونها ما لم ادفع لهم عشرة آلاف غرش غبداً لو كتبت تدفع لهم عني ونطرح ذلك من القرض

الذي ساقترضه منك على حساب الجبل. اظنك تتعلم ذلك يا اخا المروءة لانه ليس لنا غيرك

فقال بسو ان اشغلاً مثل هذه لا افضيها بعد غياب الشمس

### الفصل الثالث

الاديرة من اكبر مباني القدس في هذه الايام اعظمها ثلاثة دير اللاتين المعروف بالتراً  
صنطا ودير الارمن ودير الروم وهي مباني نعمة واسعة كالتصور وحصينة كالتقلاع يسع الواحد  
منها خمسة آلاف سائح

لما وصل تنكرد الى القدس نزل في دير اللاتين فأعطي غرفة صغيرة فيه . والان تراه

فيها يحاول تدخين التبغ وخادمة الايطالي باروني راكم امانة على ركة واحدة يصلح له التبغ

في الحجر. قال تنكرد قد صرت احب التدخين . فقال باروني لا بد ان تحبه يا مولاي لانه

لازم في هذه البلاد لزوم اللبن للطفل وهذا التبغ من اللادقية وهو من اجود الانواع اخذته

من السبور بسوحينا ذهب اليه بمكتوب مبادتكم . قال ذلك ونهض قائماً وهو شاب سيفي  
الثانية والثلاثين من عمره ربة بين الرجال نحيف الجسم اسود اللحية اقنى الانف ابيض  
الاسنان براق العينين لابس لبس الممالك سراويل واسع ومنطقة بيضاء فيها خنجر وعلى رأسه  
عمامة بيضاء . ثم اشعل شبة وجلس على الارض متربعا

فقال له تنكرد ماذا تعلمت بالبيت . قال سينقلون اليه اليوم كلهم . فقال تنكرد اما اننا  
نافضل البقاء هنا لانني اريد الرحلة . فقال باروني انهم كلهم على تمام الرضى وانكولونل يلزم  
التصلاتو وهو يتعدى هناك كل يوم ويقص عليهم اخبار الحروب التي شهدها كما كان يقص  
علينا في البحر . والمتر برنارد يلزم المطران الانكليزي وهو مسرور به لانه زاد عدد الحضور  
في الكنيسة فانهم قلال جداً فنصل انككترا وقنصل بروميا وخسة من اليهود تنصروا على شرط  
ان يأخذ كل واحد منهم عشرين غرشاً في الاسبوع وقد بلغني انهم استغلوا هذه الاجرة وطلبوا  
الزيادة . اما الطبيب فمشغول جداً وقد دعاه الوالي لمشاهدة حرمه فحس بفض كل نائه من  
وراء الستار ولم يره وجه واحدة منهم واظن ان صندوق الادوية قد الآن

فقال تنكرد لا يهمني الا ان يكونوا على اتم الراحة اما انا فلا بد لي من الذهاب الى  
بستان الجسائي

فقال باروني هو منا على رمية مهم نقصي اليه من باب صهيون وتبر في مقبرة الاتراك  
وتعب وادي قدرون فيجد نفسك في بستان الزيتون  
فقال تنكرد يظهر لي انك تعرف المكان جيداً

قال نعم فقد زرتة عشرين مرة واتيته الى هنا ثمان مرات سنة ١٤٠٤ و١٤٠٥ مرتين من انككترا  
وست مرات من مصر تلك ايام مضت ولو عمل الباشا بمشورة الميوده صيدوني لرأيت الغرائب  
في هذه المدينة

تنكرد - متى زرت هذه المدينة اول مرة

باروني - لما زارها الميوده صيدوني فاني اتيته معه من نابلي منذ ثمانى عشرة سنة

تنكرد - اذاً كنت صغيراً جداً حينئذ

باروني - نعم وكنا سبعة ولكن لم يبق معه غيري لما اتم سياحته بعد خمس سنوات

تنكرد - وماذا جرى للباقيين

باروني - مرضوا او تكاسلوا فطردهم من خدمته ولم اره اشد منه . اذا كانت في قلب

الصعراء وابدى واحد منا اقل تضيير اركيه جملأ واستاجر قبيلة كاملة لارساله الى القرب

مدينة واعطاها تحويلاً على النيزر بوليدفع اليها الاجرة

تنكرد - أو لم تعرض انت

باروني - كلاً وقد كانت خمس سنوات قضيتها في السفر والتعب ولكنها علمتني كثيراً  
وبعد قليل قام تنكرد وباروني وخرجا من باب مهبون فلم يربا احداً في طريقهما غير  
الحرس لان الوقت كان الظهري وكان الحر شديداً لا يطاق والشمس في كبد السماء فلا تاتي  
للأجسام ظلاً لتخرج العين برؤيتها . وأشار باروني الى اشجار كبيرة من الزيتون وقال هناك  
الخشمانية والطريق التي الى العين توصل الى بيت عنيا . فقال له تنكرد " دعني وحدي " .  
لانه اراد ان يزور ذلك المكان وحده فترك من جبل مهبون وعبر وادي قدرون ودخل  
البتان المقدس

### الفصل الرابع

مالت الشمس الى المغرب وانكسرت سورة الحر وعلى الطريق قافلة آتية الى المدينة المقدسة  
فيها جمال كثيرة واناس بالحلي والحلل . والعلم العثماني يمتدح فوق برج داود والموسيقى العسكرية  
تصدح في رجته والوالي خارج بفرسانه والنساء صادرات من بشاريوب وجرارهن على رؤوسهن  
رأى تنكرد ذلك وهو عائد من بتان الخشمانية وقد لاحت الشمس وجهه بعد ان اقام  
فيه بضع ساعات في حالة البهتان . فتردد في اذنه قول باروني له ان الطريق التي الى العين  
توصل الى بيت عنيا فقال في نفسه على ما لا ازورها قبل رجوعي فخرج اليها ونظر الى ماحوله  
من الآكام والوهاد وكل ما فيها يذكره بامور سلمت في تاريخ شعب الله ورجالهم وانبيائهم .  
نظر فرأى امامه المدينة العظيمة التي حاصرها ملوك اشور وفراعنة مصر وقيصر الروم وصلاح  
الدين وقلب الاسد . اسيا واوروبا اختصتا عليها ادهاراً كثيرة . فقال في نفسه هنا تاريخ العالم  
وامم العالم هنا تاريخ الارض والسماء

وسار جنوبي جبل الزيتون الى ان صار على رأي من قرية منفردة بين الآكام تنفرج  
الارض امامها وتطل على الاردن حيث يقادر وادبه الاخضر ويصب في البحر الميت . ورأى  
امامه بتاناً كبيراً يحيط به سور عال تعلو فوقه اشجار السرو والتخيل وكان بابه مفتوحاً فوق  
امامه ينظر الى ادواحه وشمائله وكان قد ورث حب الازهار والرياحين عن امه فلم يسه الآ  
الدخول اليه فشي الهويتا وهو مقتون بما شاهده فيو من جمال الطبيعة وحسن الصنعة الى ان  
بانح عريشاً من الورد والياسمين وسمع خرير الماء وغناء البلابل فنظر الى ما وراء العريش واذا

هر يرواق من المرمر تحته فسقية يدفق الماء منها فدخل الرواق وجلس على حصير مبسوط في  
ارضه وشرب من الماء الجاري فيه وكانت الشمس قد خدّرت دماغه وران الكرى على اجفانه  
فوضع ذراعاه تحت رأسه ونام. وللحال انسدل شعره الذهبي على وجهه وكتبه فظاهر كالصور  
التي يمثل بها المصورون الملائكة الاطهار

واستيقظ بعد هنيهة وحاول مد يديه فاذا شيء يغطيها ويغطي رأيه فنظر واذا هو  
بملاءة من الحرير المزركش فالتفت الى ما حوله مدهرثاً فرأى فتاة جالسة امامه

فتاة بديعة الجمال طويلة القامة مشوقة القدر عليها ثوب من الحرير الاصفر مزركش بالذهب  
ازرته من الجواهر وفوقه رداء من المخمل له ردتان طويلان مفتوحان تظهر ذراعها منها  
كقطعتين من العاج. وعلى رأسها عراقية منقطة باللؤلؤ الناصع البياض تسترسل من تحتها  
غديرتان عقصتها بدبايس الجوهر ولولا ذلك لبغتنا الارض لطولها

جمال شرقي لا مثيل له الا في جنة عدن كأن حواء اوصت لها به فلما سقطت. رأس صغير  
ووجه مستدير وشعر بين الاسوف والاشر برراق كشمير الاوريات ومهلل كشمير البديوات. لكن  
جمال المشرق في العينين والحاجبين هناك الدمع والتجل والتكحل والحور والوطف والرجع والبعج<sup>(١)</sup>  
هناك سحر العين ونبل قوس الحاجب. انف دقيق قليل الشموشير صغير واسنان كاللؤلؤ النضيد  
هذه هي الصورة التي وقعت عليها عين تنكرد. وكانت الفتاة جالسة على الجانب المقابل من  
السقية تنظر اليه صامتة فاراد الاعتذار عن جرأتها في الدخول الى بستانها ولم يتنظر حتى  
ينهض بل يادرها بالكلام قائلاً اصحني يا مولاتي عن جرأتي

فاشارت اليويدها لكي يبتني في مكانه وقالت له نحن هنا قرب البادية فضيفا الفريب فرض علينا  
فقال لما وقع نظري على التخليل في هذا البستان حدثتني النفس بالدخول فدخلت وراقني  
هذا الينبوع تجلست بجانبه ولا اعلم كيف غلطني النعاس

فقالت فعلت بك شئنا كما فعلت بكثيرين قبلك وكنت امشي في البستان مع جواربي  
فرايتك وحننا ان يصيبك الرعن<sup>(٢)</sup> لان الشمس كانت على رأسك فمطنت واحدة منا بجلاتها. اذا  
اقت في هذه البلاد فلا بد لك من العمامة

تنكرد - هذا فردوس لابستان ولم يحظر بيالي قط ان اجد بقعة جميلة مثل هذه بين  
الجبال القاحلة ولكنة جدير ببيت عنيا

(١) الدمع دقة سواد العين مع سعة التخليل والتجلل سبها. والكل سواد جنونها. والحور اتساع سوادها.  
والوطف طول اشعارها. والرجع دقة الحاجبين وامتدادها. والبعج ان يكون بينهما فرجة  
(٢) الرعن ضربة النفس.

الفتاة - انتم الافرنج تخبون بيت عنينا حياً مفرحاً  
تنكرد - كيف لا نحبها وهي تعيد لنا ذكرى امور عزيزة لدينا ذكرى المخلص وامو  
الفتاة - نعم وانتم تسجدون لهذه المرأة وتبهدون ابنها وكلاهما من اليهود  
فنظر اليها تنكرد مدهوشاً وقال وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيه أو لا تعبدنه انت  
ايضاً . فقالت بخجل لي احياناً اني اكاد اعبده لانه من ابناء امي والمره مفطور على  
حبه ابناء امي

تنكرد - اذا انت يهودية

الفتاة - نعم انا من اقرباء مريم البتول التي تكرمها ولو كنت لا تبدها  
فصمت تنكرد قليلاً وهو ينظر اليها ثم قال يا حبيذا لو قرأت - بيرة ابنها في كتابي  
الفتاة - قرأتها فقد اعطاني اياها مطرانكم واظنها مكتوبة كلها بافلام اناس من اليهود  
وقد رأيت فيها اشياء كثيرة اعجبني ولكن تعاليمها لا تنطبق على سيرتك في هذه الايام ولا ازي  
لي مرشداً يرشدني الى فهمها

تنكرد - عندنا المرشد وهو الكنيسة

الفتاة - اي كنيسة فان عندنا في القدس كنائس كثيرة كنيسة اللاتين وكنيسة الروم  
وكنيسة الارمن وكنيسة الموارنة وكنيسة القبط وكنيسة الاحباش وكلها متخالفة متناقضة  
ولذلك ارى الاصح لي ان ابق في كنيسة اقدم منها كلها الكنيسة التي ولد فيها السيد المسيح ولم  
يخرج منها فانه ولد يهودياً من بيت داود كما تعلم . واود ان اعرف ما هو رايتك في اليهود ولماذا  
هم منقشرون الآن في الدنيا

تنكرد - احسب ان انتشارهم عقاب لهم لانهم رفضوا المسيح وصلبوه

الفتاة - ومن عاقبهم به

تنكرد - هم عاقبوا انفسهم بقولهم دمه علينا وعلى اولادنا

الفتاة - هل شربتمكم لتبج للذنب ان يعاقب نفة ومن ادراكم ان الحق سبحانه وتعالى  
قبل بما فرضوه على انفسهم من العقاب . فليس في كتابكم ما يثبت ذلك بل فيه ما يناقضه فقد  
جاء فيه ان المسيح صلي الى الله لكي يفر لهم . ولكن حيا انه لم يصل او ان الله لم يستجبه فان  
الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا هم عامة الشعب فهل هم نواب الامة وهل يقبل حكمهم على  
امة كبيرة . وقد كان في البلاد كثيرون يكرمون المسيح ويميلون الى تصديق دعوتيه فكيف  
يوخذون هم واولادهم بجريرة الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا . وقد نقول ان اولئك تصبروا

فنجوا من العقاب فاقول سنأنا بذلك جدلاً ولكن بني اسرائيل اثنا عشر سبطاً عشرة اسباط منها تشتنت قبل مجيء المسيح وقد يكون أكثر اليهود الآن منها لا من البيطيين الباقين فما شأنها والصلب

تنكرد - ان مسألة الاسباط العشرة مسألة عويصة جداً فقد ظن البعض ان الافغان منهم ولكن المرجح انهم انقرضوا او امتزجوا بغالييم حتى لا يمكن اقتفاء آثارهم الآن  
الثناة - هذا ضرب من الحال لان اليهود لا يخرجون بغالييم وقد نُفِثت بلادهم مراراً مثل كل البلدان الصغيرة التي تحيط بها ممالك كبيرة . فان بلاد الشام كانت داراً للحرب قروناً كثيرة . ولم تنتج اورشليم عنوة أكثر مما نُفِثت اثنا لكن شعبها اظهروا البسالة الشديدة وجاهروا بالعصيان مراراً واخيراً أُجِلوا من بلادهم . وقولي ان أكثر اليهود المنتشرين الآن في الدنيا هم من الاسباط العشرة ومن جالية اليهود الذين أُجِلوا قبل المسيح عليه أدلة تاريخية كثيرة . ولكن هب ان اليهود المشتتين الآن في العمرة هم من نسل اولئك الذين قالوا دمه علينا وعلى اولادنا تبقى مسألة اخرى وهي مسألة يهود البادية وبلاد العرب فان جدي لآبي شيخ من مشايخ العرب وقبيلته من اكبر القبائل وهو يهودي وقبيلته كلها يهود وعندما اسفار موسى الخمسة وهم يسكنون الخيام نهل كانوا في اورشليم وقت الصلب . وامي تزوجت برجل حضرمي من سكان المدن يستحق ان يجلس على عرش سليمان . وهناك فتى يوناني يبيع الثين في اسواق ازويرا اذا رأى ابي مارة في الشارع ابعد عنها لكي لا يتجسس . لم ار ذلك في كتابكم لان الذين كتبوه كانوا من عقلاء اليهود اما انتم فقد بدمتم عنهم بعداً شامعاً

وكانت تُسكلم بذلك ويكاد الشرر يتطاير من عينيها وقد صبغت حمرة الحمة وجنتيها فنظر اليها مبهوتاً لانها كادت تعرب عما في ضميره . فقال لها انك تشكلين عن امور تمحني كثيراً ولولاها ما رأيتني في هذه البلاد . ولكن هذا التشتت امر واقعي مهما كان سيئاً ولا بد من انه العجوبة الهبة فان اليهود هم الشعب الوحيد من الشعوب القديمة المنتشرة الآن في كل المسكونة فقالت قد يكون تشنتهم العجوبة من غير ان يكون عقاباً لهم ولكن لماذا تمدُّ العجوبة . فقال لان احببهم الطويل لهذه الحالة لا يكون بقوة بشرية . فقالت نحن لا ننكر ان الله بدأ في كل شيء ولكن ليس احفظ للشعب من تشنتيه فان الشعب المغلوب يقتدي بالغالب ويمتزج به واما الشعب المشتت فيحافظ على نفسه وعاداته . وقد اصاب الارمن ما اصابتنا والارمني يقول ان لي بيتاً في كل مدينة من مدن المشرق . والارمن اكثر مناظريننا وهم يشبهوننا في الحممة والاجتهاد ولو لم يولد منهم رسل وانبياء مثلنا

نقال تنكرد - ولكن الارمن لا يوجدون الا في بلدان المشرق  
فيسمعت وقالت اذا انت تحسب العقاب انما هو في ايجلائنا الى اوربا . اظنك مصيباً . اما  
انا فلا اعرف بلادك غير انه لما قم علينا السلطان بسبب مساعدتنا لوالي مصر اضطرت ان  
امضي الى فينآ . واما على تلك الايام فكنت اغني الرجوع الى بلادي

تنكرد - الى هذا البستان الجميل في بيت عنيا  
الفتاة - لم يكن هذا البستان في حيز الوجود حينئذ فاني غرسته بعد رجوعي وبنيت فيه  
بيتاً صغيراً يطل على البرية حيث جدي وقبيلة امي . ولكن ارجو من فضلك ان تخبرني لاي  
شيء المقام الاعلى عندكم في اوربا

فسمعت هتية ثم قال وقد احمررت وجنتاهُ خجلاً يظهر لي ان المقام الاعلى للال  
الفتاة - وما هي المدينة الكبرى في اوربا  
تنكرد - لندن قصبه بلادي

الفتاة - هي اكبر من فينآ ولكن هل هي اكبر من باريس  
تنكرد - نعم هي ضعف باريس حجماً  
الفتاة - ما اكبرها . من هو اغني انسان فيها هل هو مسيحي  
تنكرد - كلاً بل هو اسراييلي مثلك

الفتاة - ومن هو اغني انسان في باريس  
تنكرد - اخو الغني الذي في لندن

الفتاة - اما فينآ فلا اسألك عنها لاني اعلم ان امبراطورها جعل ابناء شعبي من امراء  
ملكته حساباً انهم عادها . فانت ترى من ذلك ان هذا العقاب لم يضر بامة اليهود في اوربا  
ولو كنتم قد اضطهدتموها جهدكم . قالت ذلك وقامت وتوازت عن عينيهِ قبل ان يجيبها  
عن كلامها

فوقف هتية مدهوشاً حائرًا في امره لا يدري ما يفعل وهو يحسب انه يرى حلقاً واذا  
بجماعة من الغلمان اقبلوا عليه ومعهم اطباقي من الابنوس مرصمة بالذبل وعرق اللؤلؤه وعليها  
صحاف الطعام فوضعوها امامه ودنا واحد منه وربط له حول عنقه مندبلاً من الكتان الايض  
المطرز بالذهب ثم وقفوا متكئين فقال لهم انه غير جائع ولا حاجة به الى الطعام فلم ينهوا  
كلاده بل وقفوا صامتين كالاصنام فاكل قليلاً مما قدموه له ثم اشار اليهم ليرفعوا الطعام  
فرفعوه وعادوا من حيث اتوا وهو ينظر اليهم ويفكر في ما رآه وسمعه من الفتاة . ثم جاءه

غلامان آخران بالقهوة فشربوا والتفت فرأى الشمس قد توارت بالحجاب فقال لا بد لي من الانصراف فقام وخرج من البستان وكانت حمرة الشفق قد صبغت جبال اليهودية وارتد نورها الى ما بينها من الاودية والشعاب وهب النسيم من بركة الاردن فلطف حر الهواء واخذت العجوم الكبرى لتتلا في كبد السماء. مشاهد يديعة في مساء نهار شاهد فيه العبر. من تلك الفتاة. جمال لا يطعم المصريون ان يقتوا يابعد منه جبين يعجز فائيل عن الايمان باجمال منه. اعتدال قدره ودكاه فؤاد وتوقد ذهن وعلم وصدق وإخلاص وبعد عن التيه والهوى. حجة قوية وصوت رنان وعجوبة لطيفة واهتمام باهم المسائل لا غنج ولا تصنع ولا شيء مما يشين بل كل ما بدا منها شريف نبيل. في هذه الامور وهذه الثاقب كان تنكرد يفكر وهو راجع من بيت عينا. كان يمضي هنيئة ثم يقف ويتفحص الى الجبال والافاق فوقها فيراها قد لبست حلة الارجوان وليس نطاقاً من النصار وفي لحظة تعود به الذاكرة الى البستان والرواق والفتاة وهي جالسة امامه تتحاجه وتناظره. فارعلى هذه الصورة غائصة في بحار الافكار واذا هو بصوت يتاديه ان يقف وحد من الطريق فالتفت واذا هو بقارس لابس لباس المالك علي جواد عربي مطهيم وامامة غلام يحمل نارجيلية وبنديفة والفارس مدجج بالصلاح الكامل سيف وقرينة وفردين وهو الامير الذي كان في بيت بسو البيودي على ما ذكرنا في فصل سابق فالتفت الى تنكرد وظل سائراً في طريقه

هذا ولعد الى البستان والفتاة فانها لما خرجت من الرواق سارت مع جواربها اللواتي كن ينظرنها وراية الى ان بلغت بيتها وهو غرف كثيرة يحيط بها رواق كبير فصعدت الى الرواق ودخلت البيت فقام الجواربي في اكراماً لها واجلالاً الي ان وصلت الى غرفة كبيرة يديعة النقش والزخرفة فيها ديوان من الحرير الوردى وبساط كبير ينطوي ارضها وفي وسطها مسرحة من المرمر قائمة على ثلاث افاعي من الخالص حولها مقاعد وثيرة تغلعت جذاءها وجلست على الديوان وجاءت احدي الجواربي بمصباح من الفضة وغمته على المسرحة وجاءتها اخرى بكؤوس فيها من فاخر الشراب المصنوع من عصير الاتمار فشربت قليلاً وانكأت على الديوان وللحال اتت جارية اخرى بكتاب وجلست بجانب المسرحة وجعلت تقرأ وبعد قليل ازعج النار عن الباب ودخلت امرأة وتقدمت الى الفتاة واسررت في اذنها ثم عادت وللحال دخل عبد دقة لاوي طويل القامة فلم ووقف امام الفتاة وجعل يصكم بصوت منخفض فامر الجواربي فاتيها بدواة وقرطاس فكتبت سطرين في رقعة ودفعتها الى البدي فقبل هذب ثوبها وخرج. فان الامير الفارس الذي التقى به تنكرد وصل الى بيت عينا حيثئذ وطلب ان يرى الفتاة فاذنت له

بالحضور ولم يكده العبد يخرج من حضرتها والقرطاس في يده حتى ازيح الستار ودخل الامير فرحبت به وقالت له منى اتيت من الجبل يا نحر الدين . فقال اتيت اسن وقد احبط القتاصل مساعينا كلها واوقفوا الحرب بعد ان اتقتت عليها مئة الف غرش . واضطرونا ان ننزل الى بيروت ونضحي بشروط الصلح فرأيت ان اجارهم خوفاً من القيل والقال اما الحركة فلا تزال علي حالها والمشاكل تزيد تعقيداً ولكنني قد وقعت في مشكل جديد

النتاة — هذا شأنك واي مشكل لم تقع فيه

الامير — وقد اتيتك لكي تخلصيني على جاري العادة ايها الاخت العزيزة وما دمت انا استنبط المشاكل وانت تساعديني في حلها فالنور لنا وقد بدت تباشيره

النتاة — لم تفر بشيء حتى الآن ولكن هات فيص علي ما عندك من اخبار الجبل  
الامير — كان كل شيء جارياً طبق المرام قبل هذا الصلح الملعون ولكنه لا بدوم الى المراقع فان الجبل كله في حالة الاضطراب الشديد والباب العالي مصر على الارباء والانكليز يعضدونه في ذلك ولا يقبلون ان يكون حاكم الجبل من الامراء الشهابيين  
النتاة — أهذه تباشير النور الذي تمى نفسك به

الامير — نعم فان عمي الامير بشير بيتي مبعداً هو واولاده وقد ارسات وعرضت عليه مئتي الف غرش سنوياً اذا اتبع الباب العالي انه لا يستطيع احد ان يسكن القلاقل في جبل لبنان الا امير من الشهابيين وانه هو واولاده مستعدون ان يتنازلوا عن حقوقهم لمن يعين والياً على الجبل من ابناء اعمامهم. وقد اتبع واحد من اخصائي رضى باشا انه ليس في الشهابيين من يدافع عن حقوق الدولة مثلي ولا اصليح مني لهذا المنصب للاسباب التالية  
النتاة — مالك والاسباب فان الباشا لا يقنع الا بالادلة المحسوسة

الامير — نعم وهذا اقوى الاسباب فاني قد وعدته بكل ايراد الجبل في السنة الاولى اذا حصل لي البراءة

النتاة — ولكن يجب ان تعلم ان امر رضى باشا معروف فالذي يسميه لا ينظر اليه دائماً  
بين الرضى

الامير — نعم وقد استدركت ذلك وابنت لم انه لم يبق غيري مسلماً من الشهابيين  
النتاة — انت مسلم ومنذ شهرين ارسلت المطران الى باريس ليترسط امرك عند الملك لويس بناء على انك من خاصة النصارى وانك حامي حمى الموارنة في جبل لبنان  
الامير — نعم كان ذلك لما كانت المياه جارياً في مجاريها في باريس اما الآن فقد انقلبت الحال

الفتاة - اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح لان الموارنة اقوى عناصر الجبل وفرنسا  
تشد ازرهم وهم معتمدا في سورية وانت من محبة الشهابيين فلذا كنت مسيحياً وتأخذ حزب  
الموارنة فلا شك ان فرنسا تعضدك واما اذا ارتددت عن الصراية الآن فلا امل بالنجاح  
الامير - لا يخفى عليك ان امير الجبل مضطرب ان يتولى امر النصارى والدروز والمناولة .  
وبتنا من اقدم البيوت وبيتنا يتصل بهم النبي وقد ملكنا هذه البلاد منذ ثمانئة سنة وتصر  
اسلافي لكي يكون الموارنة من حزبهم وهذا شأن الاوربيين كلهم فان الامير الذي يتخار ملكاً  
لبلاد مذهب اهلها يخالف مذهبهم ويترك مذهبهم فعلى م لا يجوز لنا ما يجوز  
لهم واذا رأيت الصدود من فرنسا فعلى م لا تنهج الى الدولة واعود الى دين اجدادي .  
والفتاة واحدة وهي الحصول على امانة الجبل فلا فرق عندي كينها حصلت عليها  
الفتاة - اسأت يا نجر الدين فاني لا افهم كيف تعد نفسك اميراً وانت تستخدم ما تأباه  
الشهامة وعزة النفس وكيف تمني نفسك بالنجاح وانت تنقلب مع الاهواء  
الامير - ما تنع الامارة بلا مال افرضوني المال اللازم فقربي في منصي غداً  
الفتاة - لا يمكننا ان نرضك غرضاً الا بعد ان نراك والياً على الجبل . والسند  
الوحيد الذي كان يمكن ان تستند اليه هو فرنسا فان كانت فرنسا قد تحلت عنك فلا امل  
لك بالولاية

الامير - ماذا تستطيع فرنسا الآن بعد ان اضطرت ان تترك المصريين ليعودوا الى  
بلادهم . وقد كان خروجهم من سورية غاية مناهي لانه عاد بالويل على عمي . ولم يبق لفرنسا  
شأن الآن في سورية وكل ما كنت انتظره منها ان لا تعارض رضى باشا في اسميتي لهذا  
النصب . اما المطران فارسلته في الظاهر الى باريس وفي الباطن الى لندن ارسلته برسالة  
الى وزرائها ليقنعهم اني اسير على ما يتفقون فاسمح لمرسلي البروتستانت بالاقامة في الجبل  
وانشاء المدارس والكنائس فيه حتى يأمروا سفيرهم في استانبول لمساعد رضى باشا على تعييني  
نصير فرنسا وانكلترا والدولة معي . وقبل ان وصلت القنصلية الى القم سقطت لان وزير انكلترا  
لورد ابردين اخذ الرسالة من المطران ولقنها وارسلها الى الميو غيزو وزير فرنسا فخرّب كل  
البناء الذي بيناه

الفتاة - وسيجرب كل ما تبنيه لان الدسائس لا تهر

الامير - الدسائس الدسائس ماذا نعمل اذا اتظنين ان ابردين وغيزو وصلوا الى  
منصب الوزارة بنير دسائس . كيف نجح رضى باشا وكيف نجح محمد علي وكيف يفعل السفراء

وعندي الآن في داري جاموس من جواميسهم نصف الملوكة وصلوا الى عروشهم بالدسائس والياسة بلا دسائس ضرب من الخيال يا جوعاء

الفتاة - اذاً هذا هو المشكل الذي وقعت فيه فلا ارى كيف نساعدك على النجاة منه الامير - كلاً هذا ليس المشكل الذي اشترت اليه فان مسألة فرنسا لا تمضي لانني استطيع ان ادعي ان المطران لم يذهب من قبلي بل فعل ما فعل من تلقاء نفسه وزود الكتاب عن لساني وقد وعدني البطريك بالمساعدة في فرنسا وله هناك كلمة مسجوعة والموارنة كلهم سخطوا عريضة الى الباب العالي يطالبون فيها بتوليتي على الجبل  
الفتاة - افلا يتنازل الدروز من ذلك ويملن على مقاومتك  
الامير - كلاً لاني ساكن عندهم وهم يجهولني ويعدونني واحداً منهم ويعلمون انها حيلة على الموارنة

الفتاة - وماذا فعلت حتى اغتاز الموارنة اليك

الامير - فعلت ما لا يحظر بيال ملك وعدتهم باستقلال الجبل . ألا تذكرين ان ابراهيم باشا جمع السلاح من الموارنة بعد ان اتبع الاكليروس بمساعدته في ذلك لكن الدروز لم يقهوا في هذا الشرك فبقيت اسلحتهم معهم وتضايق الموارنة من جراء ذلك اي مضايقة ورأوا ان لا سبيل لهم لاسترداد الاسلحة فوعدهم بعشرة آلاف بندقية  
الفتاة - أنت وعدتهم بذلك

الامير - نعم فان شريف افندي المصري اشترى لي خمسة آلاف بندقية من البنادق الانكليزية وقد اتفقت مع عرب زوبلا على حملها الى الجبل  
الفتاة - حقاً ان عندك خاتم سليمان يا فخر الدين  
الامير - يا جيداً فكنت ادفع الى شريف افندي ثمن البنادق لانه لا يستطيع اياها ما لم ادفع له الآن مئتي الف غرش

الفتاة - اذاً هذا هو المشكل فاخبرني كم معك من هذا المبلغ

الامير - ولا غرش وقد بعث كل ما كان عندي من الخلي والجواهر ولم يبق تاجر في بيروت الا اسبندت منه فان رضى باشا مثل الاسفنج ينشف البحر اذا وضع فيه  
الفتاة - اذا كان البطريك راضياً عنك فالموارنة كلهم في يدك فما الحاجة الى الاسلحة لانك لست عازماً على الثورة

الامير - كلاً ولكنني اذا سلحت الموارنة اليوم نشبت الحرب بينهم وبين الدروز غداً

فيقتل بعضهم بعضاً ونقل البضائع الواردة من منشستر فيقوم تجار الانكليز و يطلبون من حكومتهم ان تبذل جهودها في تسكين الفتن وتولية امير على الجبل لإعادة الأمن اليه فيضطر منيرهم ان يضي الاسر بعيني للولاية لاجل سلام اوربا ونجاح الجبل

الفتاة - هل كنت ابي في ذلك

الامير - نعم كنته ولكنه غير مبال الى مساعدتي على ما يظهر

الفتاة - لقد ساعدك كثيراً

الامير - ويسهل عليه ان يساعدني ايضاً . ثم اسك يدها وجعل يتوسل اليها لكي تكلم اباها . وقال لها " انه لا يريد لك طلباً يا حواء كليله اكراماً للعبة اكراماً للصدافة كليله فانه لا صديق لي في الدنيا غيرك انت تعرفيني اكثر من كل احد وتعرفين طهارة قلبي ولو كانت معايب كثيرة . فولي له انك اخي وانه هو مثل ابي واني احبك مثل اخيك وانك انت تحمينني ولو كانت عيوب كثيرة . كلما زاد فضل المرأة زاد النطافها على من تراه دونها لان ذلك يزيد في سطوتها عليه فعربي الكثرة تشع لي عندك وتدعوك الى مساعدتي " قال ذلك واخذت الدموع تهطل من عيني

الفتاة - كنت احسب انك تتكلم بالهزل لا بالجد

الامير - كيف يهزل المرء في امر مثل هذا . وانت تعلمين ان غرضي لا ينال الا بوضايط كثيرة ومال واخر فكيف اناله وانا على ما تعلمين

الفتاة - اتركه اذا

الامير - اتركه بعد ان ورطت نفسي في الدين لاجله . امير مثلي لا يتورك غرض حياته او يموت . قال ذلك ونهض قائماً وجعل يمشي في الغرفة . ثم قال لها انت تعلمين يا حواء اني اخوك فقد ارضعتني امك كما ارضعتك واني احسب اباك مثل ابي . والدم الجاري في عروقك من لبن امك مثل الدم الجاري في عروقي وفوق ذلك فنجن من اسل واحد فان العرب اجدادي من نسل اسمعيل وانتم من نسل اسحق وها اخوان فانت اخي وابوك مثل ابي وتجه منا كيتا قرابة النسب ولو كان بعيداً

الفتاة - مما كانت نيتك الى ابي فانا لا يمكنني ان آكله في شأنك بعد ان جرى ما جرى لانني وعدته وعداً فاطمناً ان لا آكله في امرك فلا تطلب مني يا نعر الدين شيئاً لا استطيعه

الامير - انت متناظرة مني ونحسين اني لا اهتم الا باسم نفسي والحقيقة انني طالب اسمي المطالب واشرفها فقد كان يمكنني ان اتبع بيت ابي وما عندنا من الخيل والخدم والحشم

واعيش بعيداً عن الناس ولكنني اقول في نفسي لماذا يشتهر ابرهيم باشا ولريس فيليب  
وبارسنتون هل هم ارفع مني نسباً وانا ابن شهاب . اين كان ابرهيم باشا والديبون وبارسنتون  
لما كان جدي يحمل بيرق النبي

الفتاة — مهما يكن من امرك فقد فرغت جمعني ولم يعد في طائفي ان اساعدك في شيء  
الامير — يمكنك ان تساعدني فاسمعي ما اقول لك . جاء القدس منذ عشرة ايام  
او حواليها امير انكليزي غني جداً حتى يقال انه اغنى من قارون ومعه مكاتب  
توصية الى ايك ليدفع اليه كل ما يطلبه منه . ولا احد يعلم غرض هذا الامير اما انا فارتاب  
في امره . وفي القدس الآن ضابط فرنسي من البارجة الراسية في بيروت اخذت اياه ليخمس  
اعمال هذا الامير وقد بلغني اليوم ان الامير ذاهب الى جبل سينا وما هو غرضه من الذهاب  
الى هناك الله يعلم لان الانكليز لا يحجون مثل النصارى ولا مثل اليهود . وراي ان اوعد  
الى قبيلة من قبائل العرب لتأخذوا اسيراً فأتخذ فديته من ايك وتدفع عن البنادق وكل  
التفقات اللازمة لنقلها الى الجبل فما تركك في ذلك (البقية تأتي)

## بلاغة العرب والافرنج

لمحضره الشاعر المحيد احمد انندي كامل

كتبت في مجلة المنتظف مقالة تحت هذا العنوان فانبرى للرد عليهما اديبان فاضلان  
وهما خليل انندي ثابت والدكتور نقرلا فياض وقد تأملت كلامهما واستخلصت منه هاتين  
المسألتين الآتيتين الجديرتين بالنقد والمباحثة والرد وهما

١ — ان التعريب يذهب بهجة المعرب لان اللفظ ثوب المعنى يحسنه ويحسنه ويقيمه بقبه  
٢ — ان شعر العرب محصور في ابواب محدودة يقلد فيها الآخر الاول وانه بعيد عن الطبع  
الجواب عن المسألة الاولى — اتنا جملنا في مقالنا السابقة اركان البلاغة ثلاثة اللفظ  
والمعنى والموضوع . ولا ننكر ان اللفظ قد يسقط عن مرتبته بالترجمة بل ان هناك من ضروب  
التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقله من لسان الى لسان مثال ذلك قوله تعالى  
” ما من دابة الا هو آخذ بما صابتها ان ربي على صراط مستقيم “ فان هذه الآية لما ترجمها  
مترجمو القرآن حرفياً أصبحت لديهم في معنى غير المقصود في العربية تماماً . وامثال ذلك كثيرة